

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[441] وَإِنْ زَلَّ إِلَّا لِيُهِ رَاجِعُونَ). الإقرار التام بالعبودية المطلقة ، يعلمنا

أن لا نحزن على ما فاتنا، لأنه سبحانه مالكننا ومالك جميع ما لدينا من مواهب، إن شاء منحنا إيّاها، وإن استوجبت المصلحة أخذها منا، وفي المنحة والمحنة مصلحة لنا. والإلتفات المستمر إلى حقيقة عودتنا إلى الله سبحانه، يشعّرنا بزوال هذه الحياة، وبأن نقص المواهب المادية ووفورها غرض زائل، ووسيلة لإرتقاء الإنسان على سلم تكامله، فاستشعار العبودية والعودة في عبارة (إِنْ زَلَّ وَإِنْ زَلَّ إِلَّا لِيُهِ رَاجِعُونَ) له الأثر الكبير في تعميق روح المقاومة والإستقامة والصبر في النفس. واضح أن المقصود من قول هذه العبارة ليس ترديدها باللسان فقط، بل استشعار هذه الحقيقة، والإلتفات إلى ما تنطوي عليه من توحيد وإيمان. وآخر آية في بحثنا هذا، نتحدث عن الألفاظ الإلهية الكبرى، التي تشمل الصابرين الصامدين المتخرجين بنجاح من هذه الإمتحانات الإلهية: (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) (1). هذه الصلوات والرحمة تجعل هؤلاء على بصيرة من أمرهم، في مسيرتهم الحياتية المحفوفة بالمزالق والأخطار، لذلك تقول الآية: (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ). وبهذه العبارات المختصرة المقتضبة، يطرح القرآن مسألة الإمتحان الكبير بأبعاده المختلفة، وعوامل النجاح فيه ونتائجه. * * *

1 - قيل إن الصلوات هنا ألوان التكريم

والتأييد ورفع المقام، وعن ابن عباس أنّها غفران الذنوب (المنازل، ج 2، ص 40)، وواضح أن الصلوات لها مفهوم واسع يشمل هذه الأمور وسائر النعم الإلهية.